

الحركة الصهيونية

الحركة الصهيونية حركة مليّة اجتماعية ذات قواعد مقرّرة يرمي بها فريقٌ من بني اسرائيل الى ايجاد وطنٍ خاص لشعبهم تحقيقاً لما ورد في نبؤات ارميا ويوثيل من انه « تأتي ايام يردُّ الله (فيها) سبي شعبه اسرائيل فيقيمون مدنهم الخربة ، ويسكنون بها ، ويفرسون كروماً ، ويشربون خموراً » وقوله بلسان عاموس النبي : « وانعرسهم في ارضهم ، ولن يقلعوا بعد من ارضهم التي اعطيتهم » وقوله بلسان اشعيا وميخا : « ان الخلاص يأتي من صهيون ، والقدس تكون المركز الذي تصدر منه الشريعة » ثم ما جاء في التلمود وغيره مشيراً الى ان المسيا بن يوسف يجمع بني اسرائيل حوله ويحذف على القدس ، ويتغلب على قوة الاعداء ويبعد العبادة الى الهيكل ، ويقوم ملكه

وقد لفق القوم يفكرون في هذا الموضوع ، ويحاولون تنفيذه بعد ان خرب طيطس هيكل سليمان في سنة ٧٠ للمسيح . ولكن لم يتجاوز تفكيرهم حد الكتابة شعراً ونثراً حتى دعاهم الى العمل شبتاي زبي في القرن السابع عشر ، فلباه بعضهم ؛ الا انه لم يفتح في ما اراد . ثم حاول غيره الاقتداء به فتألفت العصابات وأنشئت الجمعيات ، ورمى القوم بابصارهم الى امريكا تارة والى فلسطين طوراً . وجد الكتابُ في التذكير والحض وتكوين رأي اسرائيلي عام . وكتب سلفادور المؤرخ اليهودي رسالة في سنة ١٨٣٠ قال فيها : ان مجرد عقد مؤتمر في اوروبا يعيد فلسطين

الى اليهود . فتألفت جمعية الايانس (الاتحاد) الاسرائيلي وبدأ القوم باستعمار فلسطين فأنشأوا مدرسة « مكوى اسرائيل » على مقربة من يافا ثم ظهرت كتب ورسائل مختلفة في الموضوع أهمها كتاب « واجبات الأمم في ان يُعيدوا الى الشعب اليهودي قوميته » ورسالة « اعادة القومية اليهودية » وفي هذه الرسالة التي نشرت سنة ١٨٦٨ صرّح فرنكل لأول مرة « بأعادة تشييد حكومة يهودية في فلسطين وذلك بشراء البلاد من تركيا » وقال - من باب الاحتياط الكلي - : « انه اذا لم يكن ابتياع فلسطين ميسوراً فلنطلب وطناً معيناً في جهة اخرى من الكرة الارضية لأن الغاية الوحيدة هي ان يكون لليهود وطنٌ وان يكونوا احراراً فيه »

وألّف المسيو موريتس ستينشنيدر حوالي سنة ١٨٤٠ جمعية من طلبة المدارس الاسرائيلية لنشر فكرة استعمار فلسطين . ثم أُلِّفت سنة ١٨٦٦ الجمعية الفلسطينية العمومية وجمعية الاستعمار السوري الفلسطيني . وخطب المستر « لورانس الفانت » الحكومة العثمانية في مدّة خطبٍ حديدي في وادي الفرات لاسكان مهاجري اليهود على جانبيه وانشاء مهجر لليهود في نواحي السلط فلم يُجِبْ له طلب . ولكن القوم لم ينتنوا عن سعيهم في جمع المال وتأليف الجمعيات هنا وهناك حتى تمكنوا في سنة ١٨٧٤ من انشاء اول مستعمرة اسرائيلية في فلسطين

وينا هم في جدِّ واجتهاد ظهرت في اوربا حركة الاتيسيميزم اي مضادة اليهود فصرفت فريقاً كبيراً منهم عن التفكير في مسألة الاستعمار وطفقوا يحاربون اعداءهم بقوة القلم حيناً وبقوة المال حيناً اخر . ولكن

هذه الحركة اتسع نطاقها وأخذت حكومات عديدة ترغم اليهود على الجلاء عن بلادها فزاد تشبثهم بإيجاد ذبّاك الوطن المنتظر لجمع شملهم وتحريرهم من عبودية الحكومات المتفننة في ايدائهم

ونشر المسيو هرتسل العالم الاسرائيلي النمسوي في سنة ١٨٩٥ كتابه اليودنستات (الوطن اليهودي) وقال فيه : « ان الانتيسيمتزم خطر لا يهدد اليهود فقط بل العالم بأسره ، ولا يمكن اجتنابه لأن اليهود شعب يتعدّ رامتزاجه بمن حوالبه في الحياة الاجتماعية ؛ فلا بدّ من تملكهم متسماً من الكرة الأرضية يكفيهم لأن يجتمعوا فيه وقيموا لهم وطناً خاصاً بهم » ثم اقترح تشكيل لجنة تقوم بالاعمال الاولى العلمية والسياسية وشركة للاستثمار يكون رأس مالها خمسين مليون جنيه انكليزي لامتلاك الارجتين او فلسطين وادخال اليهود اليها بطريقة منظمة

فتقبّل اليهود وجمعياتهم رأيه بالرضى والارتياح وعينوه رئيساً للجمعيات التي اشتركت في تنفيذ اقتراحه فدعاها الى مؤتمر عام عقده في مدينة باسل وحضره ٢٠٤ اعضاء يمثل بعضهم جمعيات مختلفة وقرروا فيه ترويج تعليم اللغة العبرانية وانشاء لجنة خصوصية للاداب اليهودية وتأسيس صندوق مالي للاعانة وتأليف جمعية عامة تنفذ اقتراحات المؤتمر فألفت هذه الجمعية واشتغلت بطبع خطب هرتسل وماكس نوردو واعدت ما يلزم لتأليف نقابة استثمارية اسرائيلية

وانعقد المؤتمر الثاني في اغسطس سنة ١٨٩٨ بمدينة باسل وقرر تأليف النقابة وجعل اللسان العبراني لغة قوم موسى وتربية الاسرائيليين

بحسب قواعد التهذيب الحديثة

ثم انعقد المؤتمر الثالث في ١٨ اغسطس سنة ١٨٩٩ بمدينة باسل وقرئت فيه عدّة تقارير دأّت على نجاح الجمعيات الصهيونية وتكاثر عدد المنتظمين في سلكها ، واقترح بعضهم استثمار قبرص فرفض طلبه بدون مناقشة فيه

وانعقد المؤتمر الرابع في ١٦ اغسطس سنة ١٩٠٠ بمدينة لندن . وتمكن هرتسل من مقابلة السلطان عبد الحميد مرتين فانعم جلالتة عليه بالنيشان المجيدي

ثم انعقد المؤتمر الخامس في مدينة باسل في يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠١ وتقرّر فيه عقد المؤتمر مرة كل سنتين وان تعقد في الفترات الواقعة بين المؤتمرات اجتماعات يحضرها اعضاء الجمعية الكبرى

ولاحظ زعماء الاسرائيليين أنهم غير ناجحين في استثمار فلسطين فخطبوا نخامة اللورد كرومر في استثمار العريش فلم تجبهم الحكومة المصرية جواباً يحسن الوقوف عنده . ثم خطبوا الحكومة الانكليزية في استثمار أفريقيا الشرقية . ولكن فريقاً كبيراً من ذوي الرأي لم يوافقوا على استثمار احدى الجهتين وقال المسيو هرتسل : « ان شرقي أفريقيا ليست صهيون ولا يمكن أن تكون كذلك » وقال الاستاذ ماكس نوردو : « لو أمكن احداث مثل هذا المقر - يعني أفريقيا الشرقية - فهو لا يكون الا دار عزلة مظلمة »

وتوفي هرتسل في ٣ يوليو سنة ١٩٠٣ فوصفته دائرة المعارف

الاسرائيلية بقولها : « انه السياسي اليهودي الوحيد الذي كرّس حياته لخدمة قومه واستطاع ان يقوم بما لم يستطعه فرد ولا جماعة في سبيل اعلاء شأن الصهيونية وتثبيتها ؛ فقد كانت هذه المسئلة في بدئها مسئلة خيرية زراعية ، فصيرها هرتسل اقتصادية سياسية »

واتخب الاستاذ ماكس نوردو الفيلسوف الألماني المعروف خلفاً لهرتسل في رئاسة المؤتمرات والجمعية العاملة ؛ فرأس المؤتمر السابع الذي عقد في ٢٧ يوليو سنة ١٩٠٥ وصدق على قرار خلاصته ان الهيئة الصهيونية تبقى ثابتة لا تتحول عن اعداد وطن لليهود في فلسطين

ولا تزال المؤتمرات الاسرائيلية تعقد مرة كل سنتين في عاصمة من عواصم أوروبا والجمعيات الصهيونية تنتشر في جميع الاقطار الشرقية والغربية ويتسع نطاقها فبلغت ألوفاً واشترك فيها مئات الالوف من الاسرائيليين على اختلاف طبقاتهم يمدونها بالآراء ويساعدونها بالمال كل على قدر طاقته ؛ فتمكنوا من انشاء « المصرف اليهودي الاستعماري » ثم صندوق « الذخيرة الوطنية الاسرائيلية »

والمقصود بهذه الذخيرة المال الذي يجمعه اليهود لاسترداد أرض فلسطين وجعلها مقراً لليهود المنتشئين في أنحاء المعمورة المعرضين لاضطهادات الحكومات المختلفة وازدراءها بهم . ومركز رئاسة اللجنة العاملة لصندوق الذخيرة في مدينة كولونيا الالمانية . وقد بلغ رأس ماله ١٢٠ الف جنيه انكليزي في سنة ١٩٠١

والقوم في جمع المال طرق مختلفة أباتوها في منشوراتهم للطبوعة

بالفرنسوية والانكليزية والألمانية ؛ وأهمها طريقة الصناديق الخصوصية وهي صناديق مغلقة ذات ثقب ترمى منه النقود ، ويرسل منها صندوق لكل من اراد فيضع فيه ما يفيض عن نفقاته او ما يقرره على ذاته اسبوعياً او شهرياً ثم يأتي مندوب الجمعية في وقت معين ويفتح هذا الصندوق ويأخذ ما فيه ويقفله . وتقول الجمعية في نشراتها ان الادخار في الصندوق الخاص هو خير وسيلة لتدريب الصغار على معرفة الواجب عليهم نحو شعبهم

ومنها طوابع البريد والتلغراف وتذاكر التهيئة والتعزية : وهي اوراق خاصة يتناوعها الصهيونيون ويستخدمونها في مكاباتهم الخاصة ومنها الكتاب الذهبي : وهو سفر مطبوع على ورقٍ صقيل ومجلد تجليداً مزخرفاً نخباً يشتمل على اسم من يدفع للجمعية ١٠ جنيهات ومنها دفاتر المذكرات : وهي تحتوي على قلم رصاص وتقويم وكية من ورق الكتابة تخصص لتدوين ما يتبرع الصهيونيون به في الاحتفالات العامة والخاصة لتنفيذ فكرة الصهيونية

ومنها أشجار الزيتون . فكل من يدفع ٣٠ غرشاً تُعرَس باسمه شجرة زيتون في احدى مزارع الاستعمار الصهيوني ومنها تسجيل الاراضي باسم اهل الخير . فكل من يدفع جنيهين يشتري باسمه — لحساب الجمعية — دونم وترسل اليه حجة تملكه ولا تفتر جمعية الذخيرة يوماً عن ايجاد طرق جديدة لحث الاسرائيليين على البذل . وقد تمكنت بان تأتي بما جمته باعمال خطيرة جليلة أهمها شراء

سنة الاف دونم من الاراضي على مقربة من بحيرة طبريا ، وانشاء
مزرعتين كبيرتين للزيتون في حولدا وبن شامن وعدة حدائق لزراعة
البرتقال والليمون والارنج في شدرح وجنيئة صامويل

أما المدارس الصناعية والزراعية والعالية التي انشئت بمال الذخيرة
في حيفا ويافا والقدس لتربية النشء الاسرائيلي وتعليمه فحدث عنها
ولا حرج . وهكذا قل عن المستعمرات الزراعية وبيوت العمال التي انشئت
في أنحاء فلسطين فتحول بها القفر البلقع الى روض ازهر

وقد اتاحت لي الظروف التعرف الى جماعة من المشتغلين بهذا
الموضوع في القاهرة والاختلاط بهم فعلمت ان لهم مندوباً خاصاً
يتردد على بعض المدارس الابتدائية ويلقي على تلاميذها دروساً بين فيها
حقيقة الصهيونية وما يجب على كل اسرائيلي عمله لتنشيطها ومساعدتها
ولهم مجلة فرنساوية شهرية اسمها «النهضة الاسرائيلية» يوافيها أئمة الكتاب
الصهيونيين بمباحثهم العلمية النافعة ، وتشر فيها شهرياً اخبار الحركة
الصهيونية وانصارها. وقيمة اشتراكها السنوي ثلاثة فرنكات . ولهم نادٍ
خاص كبير في حي الاسماعيلية . ونحو عشر جمعيات تشتغل بجمع المال
وارساله الى اللجنة الرئيسية في كولونيا . ويعني صهيونيو مصر بمطالبة
كل ما يرد عنهم في الجرائد المحلية ويقبضون عليه

وقد انعقدت الجمعية العاملة للصهيونيين في مدينة فينا يوم ١٠ يونيو
مقدمة للمؤتمر الذي سينعقد في شهر سبتمبر القادم وينظر المسائل المعروضة
عليه ثم يأخذ في تنفيذها بقوة ماله ورجاله

نوفيس ميب